

معركة مؤتة 8هـ - نتائج وأبعاد

د. غسان عبد القادر حميد
كلية المأمون الجامعة - الوحدة العلمية

المستخلص:

إتسمت العلاقات بين المسلمين والروم بالتوتر ، فقد دأبت الروم وعرب الشام على مضايقة المسلمين واستفزازهم بللطرق بكلها ، وكان من أبرزها التعرض لتجارة المسلمين والقيام بالسلب والنهب للقوافل التي تمر بطريقهم ، وبلغ الأذى ذروته حين بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي رسولاً الى ملك بصرى في ارض الشام يدعوه للاسلام فما كان من ملك بصرى شرحبيل بن عمرو الغساني إلا ان قتل رسول رسول الله ﷺ ، وكان قتل السفراء والرسول من أشنع الجرائم ، يساوي بل يزيد على اعلان حالة الحرب على خلاف ماجرت العادة من إكرام الرسل وعدم التعرض لهم ، فأشئت ذلك على رسول الله ﷺ حين نقلت اليه الاخبار ، فجهز اليهم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجل ، وهو أكبر جيش اسلامي لم يجتمع قبل ذلك الا في غزوة الاحزاب ، وقد أمر رسول الله ﷺ على هذا الجيش زيد بن حارثة وقال : ((ان قتل زيد فجعفر ، وان قتل جعفر فعبداً لله بن رواحة)) ، وعند مدينة مؤتة توقف المسلمون ، وبدأ القتال المرير ، ثلاثة الالاف يواجهون مائتي الف مقاتل من الروم والعرب المواليين لهم ، فقتل القادة الثلاثة وتسعة من المقاتلين ، وقيل العديد من الروم والمواليين ، وتولى خالد بن الوليد قيادة الجيش فغير من اوضاع الجيش وتنظيمه ، واتبع خطة للمخادعة والحرب النفسية ، فلم يلاحق الرومان انسحاب جيش المسلمين ولم يطاردتهم ، ظناً بأن مدداً كبيراً وصل المسلمين من المدينة ، وعاد الجيش الى المدينة المنورة سالمأ من دون خسائر تذكر مقارنة بالجيش الكبير من عدوهم ، فلقبهم رسول الله ﷺ وقال فيهم ((ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى)) ، بعد ان قال الناس فيهم يا فرار ، فررتهم من سبيل الله .

هذه المعركة كانت كبيرة الأثر والابعاد لصالح المسلمين ، فقد كانت توطئة وتمهيداً لفتح البلدان الرومانية ومقدمة للفتح الاسلامي خارج الجزيرة وسبباً في تقوية الروح المعنوية للمسلمين حينما جابه جيشاً صغيراً بعدده قوة كبيرة وفي عقر دارهم ، اوصلو رسالة الثأر والتأديب اليهم.

وقد تعزز موقف المسلمين في الجزيرة العربية ، وأسلم عدد من القبائل العربية على أثرها ، وقد تميزت معركة مؤتة عن سائر المعارك بأنها الموقعة الوحيدة التي جاء خيراها من السماء ، حيث اختار الرسول ﷺ لها ثلاثة قادة على الترتيب ، زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة (رضي الله عنهم) ، وقد تجلى فيهم الصبر والثبات والنضحية .

الكلمات المفتاحية: معركة مؤتة ، معارك المسلمين ، نتائج وابعاد ، جعفر بن ابي طالب ، خالد بن الوليد ، عرب الشام ، الروم.

Mu'ta Battel (8th H.)-Results and Dimensions

Abstract:

The relations between the muslims and Romans were characterized by tension .

The Romans and the Syrians used to bother the Muslims and irritate them in all the ways , the most outstanding of which was attacking their passing trade caravans and looting them . Their harm was culminated when the prophet (P.B.U.H) sent Al-Harith Bin Umair Al-Azdi as a messenger to the King of Busra in Syria asking him to convert to Islam .Busra King , Shurhabeel Bin Amro Al-shani , Killed the prophet's messanger . The killing of ambassadors and messengers was considered as a serious crime equal to , and even worse than the declaration of a war because the habit run that messengers were protected and treated with generosity . When the news reached the prophet (P.B.U.H) , he sent a great army of 3000 men , which was the biggest army ever , under the leadership of Zaid Bin Haritha and he said : " if Zaid gets Killed , lets Ja'far be in charge , and ig ja'far gets killed , let Abdullah Bin Rawaha be the leader " .The Muslims stopped at the city of Mu'ta and a great fight took place where three thousands Muslims faced 200000 Roman fighters and their Arab allies . The three Muslim leaders got killed , nine of their fighters as well as many Romans and their allies .

Khalid Bin A-Waleed became in charge and he changed the position and arrangement of the army and followed a deceptive plan and psychological war .

Thus , the Romans did not chase the retreated Muslim army , thinking that a great support had reached them . The Muslim army safely came back to Al- Madina with a relatively little loss in comparison to the big army of their foes . The prophet (P.B.U.H) met the retreated soldiers and said " Not deserters , but attackers by God's will" for people accused them of being deserters . This battle had a deep effect on and great dimensions for the Muslims . It was a forerunner to open many Roman countries and served as an introduction to the Islamic invasion outside the Arabian peninsula . It strengthened the Muslim's moral spirit for a little army had faced a great power in its homeland and hinted at revenge and discipline .

المقدمة :

لم تكن معارك المسلمين خارج الجزيرة العربية سعيًا لاحتلال ارض او من أجل غنائم أو لإشاعة الخراب والدمار والقتل والسلب ، بل كانت حملاتهم ، حملات تكليف إلهي لنشر رسالة السماء في التوحيد والعدل والمساواة والصلاح لخير البشرية ، وما معركة مؤتة الا واحدة من هذه المعارك التي خلدها التاريخ بقيمتها وأهدافها ونتائجها ، إن التأمل بعمق في مجريات المعركة كلها وسير أحداثها يجد النظرة المادية المجردة عند قياس معيار القوة والضعف وتوازن القوى بعيدة كل البعد عن الواقعية والفهم العميق في صراع الحق مع الباطل، فالأمر يتطلب إدراك عناية الله ونصره لجند الحق ، ويبقى الأخذ بالأسباب والأعداد والاستحضار الذي أمرنا الله تعالى به عاملاً أساسياً لتحقيق النصر الذي هو من عنده ، من هنا جاءت أهمية البحث في بيان وقائع معركة مؤتة ونتائجها وأبعادها ، حيث هدف البحث الى استقراء وتحليل المعركة ونتائجها والأبعاد الإستراتيجية التي تمخضت عنها ، وقد تضمن البحث محورين : الأول ، دراسة الوقائع التي سبقت المعركة ودوافعها وأسبابها ، وقرار المعركة والتجهيز للقتال وتفصيل المعركة وخطة الانسحاب لتأمين سلامة جيش المسلمين ، أما المحور الثاني فقد تضمن نتائج المعركة والأبعاد الإستراتيجية فيها ، لقد طبق المسلمون في هذه المعركة مبادئ الحرب وفنونها بأحسن صورها لاسيما في جانب القتال التراجعي الذي تحقق من خلاله الانسحاب الأمين من دون خسائر تذكر حتى صارت المعركة بدروسها وعبرها رافداً من روافد الفكر العسكري المعاصر وهذا ما جاءت به خاتمة البحث .

الوقائع التي سبقت المعركة

دأبت بعض القبائل العربية مثل كلب وجماد ولخم وفدح وقضاعة على مضايقة المسلمين وإيذائهم في اثناء سفرهم للشام لغرض التجارة او بفرض الدعوة الى الله ، وبعد صلح الحديبية أخذ هذا المسلك العدواني من حى اكثر خطورة (1) . بعد مقتل الحارث بن عُمير الأزدي مبعوث رسول الله ﷺ الى حاكم (بصرى) التابع لحاكم الروم . فقد قام شريح بن عمرو الغساني بضرب عنق مبعوث رسول الله ﷺ (2) ولم تجر العادة بقتل الرسل والسفراء فكانت من أشنع الجرائم بل هو يزيد على اعلان العداء والحرب فضلاً عن قيام الحارث بن ابي شمر الغساني حاكم دمشق بسوء الاستقبال لمبعوث رسول الله ﷺ وهدد بإعلان الحرب على المدينة ، فلشئت ذلك على رسول الله ﷺ حين نقلت اليه الاخبار . وقد قام نصارى الشام بزعمهم الامبراطورية الرومانية بالاعتداءات على من يعتنق الاسلام او يفكر في ذلك ، فقد قتلوا والي معان حين أسلم وقتل والي الشام من اسلم من عرب الشام (3) .

كانت هذه الأحداث و لاسيما مقتل سفير رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الازدي . محرقة لنفوس المسلمين ومحزراً لهم ليثأروا لإخوانهم في العقيدة الذي سفكت دماؤهم بغير حق.

دوافع وأسباب المعركة

لعل من ابرز الدوافع والاسباب التي دعت رسول الله ﷺ لتجهيز الجيش لملاقاة الروم هي لأنها الخطوة الأولى للقضاء على دولة الروم في بلاد الشام والتحفيز لنشر الدعوة الاسلامية خارج الجزيرة ، واعطاء فرصة للمسلمين للتعرف على حقيقة قوات الروم ومعرفة اساليب قتالهم ، فضلاً عن تأديب عرب الشام التابعين للدولة الرومانية والذي دأبوا على استفزاز المسلمين ، وتحديهم وارتكاب الجرائم ضد دعائهم . ومن ثم فرض هيبة الدولة الاسلامية في تلك المناطق . بحيث لا تتكرر مثل هذه الجرائم في المستقبل ويأمن الدعاة المسلمون على انفسهم ، ويأمن التجار المترددون بين الشام والمدينة من كل أذى يحول من دون وصول السلع الضرورية الى المدينة (4) . ويبقى دافع الثأر لمقتل رسول رسول الله ﷺ وسفك دمه بغير حق دافعاً محرراً وباعثاً لوضع الحد لمثل هذه التصرفات ، وقد يكون هناك سبب آخر في مقدمة كل هذه الأسباب : إرادة الله عز وجل في هذه المعركة ليكون في نتائجها درساً بليغاً للمسلمين الى قيام الساعة ، وهذا ما سنتناوله في الجزء الثاني من البحث .

قرار السرية والتجهيز للقتال

في سنة (8هـ) أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالتجهيز للقتال ، فاستجابوا للأمر النبوي . وقد بلغ عدد المقاتلين في هذه السرية ثلاثة الاف مقاتل واختار النبي ﷺ للقيادة ثلاثة قادة على التوالي : زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب ثم عبدالله بن رواحة (رضي الله عنهم) ، وقد روى البخاري في صحيحه بإسناده الى عبدالله بن عمر بن الخطاب ؓ قال : ((أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله ﷺ : إن قتل زيداً فجعفر وان قتل جعفر فعبدالله بن رواحة)) (6) ، وقد أمر رسول الله ﷺ الجيش الاسلامي ان يأتوا المكان الذي قتل فيه الحارث ابن عمير الازدي ؓ ، وان يدعو من كان هناك الى الاسلام ، فإن أجابوا فبها وإن أبوا ، استعينوا بالله عليهم وقتلوه (7) وقد أوصى الرسول ﷺ المقاتلين في هذه السرية بوصايا تتضمن آداب القتال في الاسلام بقوله : ((أغزو بلسم الله في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأةً ولا كبيراً فانياً ولا منزعلاً بصومعةٍ ولا تقربوا نخلأ ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناءً وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم الى احدي ثلاث : فإما الاسلام وأما الجزية وأما الحرب)) (8) ، ولما تجهز الجيش الاسلامي ودع رسول الله ﷺ والمسلمون

الجيش ودعوا لهم بالعودة سالمين غانمين (9) وعقد رسول الله ﷺ لواء ابيض ودفعه الى زيد بن حارثة .

وصول الجيش الى مؤته واستشهاد القادة الثلاثة

تحرك الجيش في اتجاه الشام حتى منزل بمعان في ارض الشام مما يلي الحجاز الشمالي ، عندها نقلت اليهم الاخبار بأن هرقل نازل بمأب من ارض البلقاء في مائة الف من الروم ، وحشدت القبائل العربية من لحم وجذام وبهراء وبلي مئة الف صليبي وعينت لهم قائداً هو مالك بن رافلة ، فبلغ جيشهم مئتي الف مقاتل، مزودين بالسلاح الكافي ، يرفلون في الديباج لينبهر المسلمون بهم ويقوتهم (10) ولقد قام المسلمون في معان يومين يتشاورون في التصدي لهذا الحشد الضخم ، فقال بعضهم : نرسل الى رسول الله ﷺ في المدينة نخبره بحشود العدو فإن شاء امدنا بالمدد وان شاء امرنا بالقتال (11) ، وقال بعضهم لزيد بن حارثة قائد الجيش : وقد وطئت البلاد واخفت أهلها فانصرف فإنه لا يعدل العاقية شيء (12) ، لكن عبدالله بن رواحة حسم الموقف بقوله : يا قوم ، والله الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة ، ومانقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، مانقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فلنفا هي إحدى الحسينين: اما ظهور ، واما شهادة ، واندفع زيد بن حارثة بالناس الى منطقة مؤته جنوب الكرك يسير حيث اثر الاصطدام بالروم هناك ، فكانت معركة سجل فيها القادة الثلاثة بطوله عظيمة إنتهت بأستشهادهم (13) ، فقد توغل زيد بن حارثة ﷺ في صفوف الأعداء وهو يحمل راية رسول الله ﷺ حتى سال دمه في رماح القوم (14) ثم أخذ الراية جعفر بحسب توجيهات الرسول ﷺ وطفق يقاتل جموع المشركين فكثفوا حملاتهم عليه وقطعوا يده اليمنى ، فحمل الراية بشماله فقطعوا شماله فاحتضنه بعضديه و أنحنى عليه حتى استشهد ، يقول عبدالله بن عمر ﷺ كما جاء في البخاري ((وقتت على جعفر يومئذ وهو قتيل ، فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره (15) اي : ليس منها شيء في ظهره ، يعني انه قاتل دائماً من امام ولم يفر ولو للحظة واحدة ، ومن ارض المعركة الى الجنة مباشرة لا يسير فيها بل يطير بجناحين ، فقد روى الحاكم والطبراني بإسناد جيد عن ابن عباس ﷺ : ان رسول الله ﷺ قال ((رأيت جعفر ابن أبي طالب ملكاً في الجنة م ضرجه قواده بالدماء ، يطير في الجنة (16) ، فقد ابدل الله تعالى جعفر بن ابي طالب بدلاً من يديه اللتين قطعتا في سبيله بجناحين يطير بهما في الجنة ، وحمل الراية بعد جعفر عبد الله بن رواحة الانصاري . وقاتل حتى قتل في صدره ، ولما استشهد عبد الله بن رواحة (ﷺ) حمل الراية الصحابي الجليل ثابت بن اقرم "ممن شهد بدر" وقال : يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجلٍ منكم قالوا انت ، قال ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد (17) ، وجاء ثابت بن اقرم ونظر الى خالد بن الوليد ، فقال : خذ اللواء يا أبا سليمان ،

فقال : لا أخذه ، أنت أحقُّ به، انت رجل لك سنٌ ، فقد شهدت بدمراً فقال ثابت : خذه أيها الرجل ، فو الله ما أخذته الا لك ، فأخذه خالد بن الوليد ﴿ ﷺ ﴾ (18) ، وقد قال رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ يوم مؤته كما أخرج البخاري في صحيحه ، مخبراً بالوحي قبل ان يأتي الى الناس الخبر من ساحة القتال ((أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحه فأصيب وعيناه تذر فان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ، حتى فتح الله عليهم)) .

خطة خالد بن الوليد لإنقاذ جيش المسلمين

اصبحت الخطة الاساسية المنوطة بخالد في تلك الساعة العصيبة من القتال ان ينقذ المسلمين من الهلاك ولم يكن من عادة الجيوش في ذلك الوقت ان تقاتل ليلاً ، فكان ان تحاجز الفريقان واستراح الرومان ليلتهم هذه ، لكن المسلمين لم يركنوا الى الراحة . فبعد ان قدر الموقف واحتمالاته المختلفة تقديراً دقيقاً وتوقع النتائج ، اقتنع بأن الانسحاب بأقل خسائر ممكنة هو الحل الافضل ، فقوة العدو تبلغ (66) ضعفاً لقوة المسلمين ، فلم يبق امام جيش المسلمين الا الانسحاب المنظم ، وعلى هذا الاساس وضع خالد خطة المخادعة لضمان الانسحاب المنظم وبأقل ما يمكن من الخسائر وكما يأتي :

1- غير في ظلام الليل من ترتيب الجيش ، فجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة ، وجعل المقدمة مؤخرة والمؤخرة مقدمة وعندما رأى الرومان هذه المتغيرات في الصباح ، ورأوا الرايات والوجوه والهيئة قد تغيرت فضلاً عما ما اصطنعه خالد بن الوليد من ضجة صاخبة من قبل الجنود خلف الجيش وعلى مساحة عريضة لإثارة الغبار ، أيقن الرومان ان هناك مدداً قد جاء للمسلمين ، وان جيشاً جديداً نزل الى الميدان .

2- عزز خالد بن الوليد قائد الجيش خطة المخادعة هذه بقيامه بدوريات وهجمات سريعة ومتتالية على قوات الروم والعرب الموالين لهم ليدخل في نفوسهم الشك والتحسب من القوة الجديدة التي قدمت الى ميدان المعركة ، فأدركوا ان مقاتلة المسلمين واحراز نصر حاسم ونهائي فيه مجازفة فتقاعسوا عن متابعة الهجوم وضعف نشاطهم فخف الضغط على جيش المسلمين ، فقام خالد بن الوليد بتأليف مؤخرة الجيش بقوة قوية تهيأت لقتال التعويق لاحباط مطاردة العدو ، وانقاذ القسم الاكبر من قوات المسلمين من التطويق ، وقد انتشرت مؤخرة المسلمين في جبهة واسعة وأحدثت ضجة عالية (كما ذكرنا سابقاً) لأيهام العدو بقدم امدادات جديدة للمسلمين ولحرمان العدو من معرفة انسحاب قوات المسلمين حتى لا يطاردها العدو فيكبتها الخسائر (19) .

ثم بدأ جيش المسلمين بالانسحاب التدريجي الى عمق الصحراء بمهارة عالية ، وقد عمد خالد بن الوليد الى سحب الجناحين بحماية القلب ، ولما أصبح الجناحان

بمناى عن العدو وفي مأمن عنه ، عمد الى سحب القلب بحماية الجناحين الى ان تمكن وضمن سلامة الانسحاب كلياً ⁽²⁰⁾ ، الامر الذي شعر معه الروم بأن جيش المسلمين يستدرجهم الى كمين في الصحراء فترددوا في متابعتة ، وبذلك استطاعت مؤخرة الجيش النجاح في مهمتها ولم يتكبد المسلمون في انسحابهم خسائر تذكر على الرغم من ان حركة الانسحاب من أصعب الحركات العسكرية لاحتمال انقلاب الانسحاب الى هزيمة ، والهزيمة كارثة تؤدي الى خسائر فادحة .

لقد قال رسول الله ﷺ يوم مؤته كما أخرج البخاري في صحيحه ، مخبراً بالوحي ، قبل ان يأتي الى الناس الخبر من ساحة القتال ، وهي معجزة من معجزات الرسول ﷺ ((أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحه فأصيب حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله وبشرهم بالفتح على يديه)) ⁽²¹⁾ . وحزن رسول الله ﷺ لما وقع للسرية ، وذرفت عيناه الدموع ، ثم أخبرهم بتسلم خالد للراية وبشرهم بالفتح على يديه ، وسماه : سيف الله وبعد ذلك قدم من أخبرهم بأخبار السرية ، ولم يزد عما أخبرهم به النبي ﷺ ⁽²²⁾ . ويقول المؤرخون : إن خسارة المسلمين لم تتعدّ الأثني عشر شهيداً في هذه المعركة ولا يعلم عدد قتلى الروم ومواليهم لكنهم كثر ، أضعاف خسائر المسلمين ⁽²³⁾ . وان خالداً قال : ((لقد أنقطعت في يدي يوم مؤته تسعة أسياف فما بقي في يدي الا صحيفة يمانية)) ⁽²⁴⁾ وهكذا عاد جيش المسلمين من دون خسائر تذكر مقارنة بالجيش الكبير من عدوهم ، ولما دنا الجيش من حول المدينة ، تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشتمون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان واحملوهم ، واعطوني ابن جعفر ، فأتي بعبدالله فأخذه فحمله على يديه وبدأ الناس يحثون على الجيش الثراب ، ويقولون : يافرار ، أفررتم من سبيل الله ، ويقول رسول الله ﷺ ((ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى)) ⁽²⁵⁾ .

النتائج والابعاد

نتائج المعركة

في العرف العسكري تحسب نتائج المعارك بتحقيق الغايات والاهداف التي تقاقل من اجلها الجيوش ولاشك ان جيش المسلمين انما كان بالتوصيف المعاصر ((قوة تأديب واستطلاع)) طبقا الى تعداده وعدته بالمقارنة مع جيش الروم والموالين لهم من عرب الشام ، ولا يراد به بداهته ان يحطم قوة الدولة الرومانية او يفتح البلاد التي كانت يومئذ في يديها ، انما كان قرار الرسول ﷺ في ارسال هذه القوة للتأديب والتأثر للذين سفكت دماؤهم بغير حق ، وكخطوة اولى وتحفيز لنشر الدعوة

الاسلامية خارج الجزيرة ، وما عودة ونجاة جيش المسلمين من صحابة رسول الله ﷺ (الأثني عشر صحابياً جليلاً) بعد قطع المسافات الطويلة والوصول الى عقر دار العدو وملاقاة جيش الروم الكبير بعده ، وتكبيد رجاله الخسائر الفادحة وكسر هيئته وهيبة الدولة الرومانية ومن والا هم من عرب الشام الإنصراً كبيراً للمسلمين ، وتحققت الاهداف والغايات التي من أجلها بعثت السرية (وعاد الجيش وتسامعت الجزيرة بعدد الجحافل الرومية التي حسبتها مرصدة له ولم تقدر على تمزيقه ولا أصابت منه غير أثنى عشر شهيداً منهم القادة الثلاثة الذين ندبوا للشهادة قبل خروجه ، فالسرية اذن نهضت بأمانتها وكانت قادرة على جهاد أعظم من جهادها وثبات أطول من ثباتها ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال في الجيش العائد من القتال ((ليسوا بالفرار ولكّهم الكرار إن شاء الله تعالى)) (27) .

الأبعاد الإستراتيجية للمعركة

معيار القوة والضعف

1. غالباً ماتحسب الاطراف المتصارعة قواتها في التوازنات العسكرية بصيغتها المادية والعديدية ، ولكن النظرة المادية المجردة عند قياس معيار القوة والضعف بعيدة كل البعد عن الواقعية والفهم العميق ، في صراع الحق مع الباطل ، فالامر يتطلب ادراك عناية الله تعالى ونصره لجند الحق ، اذ أن الوقائع تشهد ، والاحداث على مر العصور تبرهن بأنه ((كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله)) (28) فالأمر لله من قبل ومن بعد. مع الاخذ بالاسباب المادية التي أمرنا الله عز وجل بها لكسب النصر الذي هو من عند الله تعالى، وفي الطريق الى مؤته توقف الجيش الاسلامي في معان فناقش كثرة جيش العدو وكانت المقاييس المادية لا تشجعهم على خوض معركة ، ومع ذلك تابعوا طريقهم ودخلو بمقاييس ايمانية ، فهم خرجوا يطلبون الشهادة ، فلماذا اذاً يفرّ مما خرجوا لطلبه ، وقد سجل ابن كثير رأيه في المعركة وقال (يتقاتل جيشان متعاديان في الدين ، احدهما ، وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله ، عدتها ثلاثة الاف ، واخرى كافرة وعدتها مئتا ألف مقاتل ، من الروم مئة ألف ، ومن نصارى العرب مئة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ، ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين الا اثنا عشر رجلاً ، وقد قتل من المشركين خلق كثير) .

المعركة مقدمة للفتح الاسلامي خارج الجزيرة

2. معركة مؤته كانت بمثابة اليعاز والتحفيز من قبل رسول الله ﷺ للمسلمين بالفتح الاسلامي خارج الجزيرة العربية ومقدمة لفتح البلدان وتحريرها ، وهي خطوة عملية قام بها النبي ﷺ لبداية القضاء على دولة الروم في بلاد الشام .

تقوية الروح المعنوية للمسلمين

3. المعركة اعطت الروح المعنوية العالية للمسلمين فقد اهتزت هيبة دولة الروم في قلوب العرب فقد كانت الروم أكبر قوة وأعظم ها على وجه الارض لا يستطيع احد الصمود أمامها كيف وقد عاد جيش صغير من دون خسائر تذكر ، كما أظهرت ضعف الروح المعنوية في القتال عند مقاتلي الروم وتحسبهم من قتال المسلمين.

استطلاع ومعرفة قوات الروم

4. أعطت المعركة الفرصة للمسلمين للتعرف على حقيقة قوات الروم ، ومعرفة أساليبهم في القتال ، وتسليحهم وتنظيمهم ونظام القيادة والسيطرة ، وتعبئة القوات ونقاط القوة والضعف فيها فضلاً عن التعرف على طوبوغرافية الارض وتأثيرها في صفحات المعركة وقد افاد المسلمون من هذه المعلومات في المعارك اللاحقة لفتح الشام .

خطة الانسحاب وانقاذ الجيش

5. لقد انقذ الله تعالى المسلمين بخالد بن الوليد من قتل محقق وهزيمة و إن الانسحاب المنظم المدعوم بخطة المخادعة كان قمة النصر بالنسبة لظروف المعركة ، حيث يكون الانسحاب في ظروف مماثلة . اصعب حركات القتال بل أجداها ، وأنفعها (29) ولو ان خالداً ملكته فطرة المجازفة ولم تملكه فطرة القيادة البصيرة لساءت العقبة أيما سوء وتعرضت الدعوة الاسلامية لمحنة لانعرف مداها الآن (30) .

تعزيز موقف المسلمين

6. معركة مؤتة كانت بالغة الأثر لسمعة المسلمين لانها ألقت العرب جميعهم في الدهشة والحيرة فقد كانت الروم أكبر قوة وأعظم ها في المنطقة ولا يستطيع أحد ان يصمد أمامها ، كيف وقد عاد جيش صغير من دون خسائر تذكر ، فأيقن العرب أن لا بد ان تكون هناك عناية ونصر من عند الله وأن نبيهم رسول الله ﷺ حق ، حينئذ جنحت القبائل العربية بعد هذه المعركة الى الاسلام فأسلم بنو سليم وأشجع و غطفان وذبيان وخزارة وغيرها .

تميز معركة مؤتة عن باقي المعارك

7. تميزت معركة مؤتة عن سائر المعارك بأنها الموقعة الوحيدة التي اختار النبي ﷺ لها ثلاثة أمراء على الترتيب هم : زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحه رضي الله عنهم وهي المعركة الوحيدة التي جاء خبرها من

السماء ، إذ نعى النبي ﷺ استشهد القادة الثلاثة قبل ان يصل الخبر من ارض المعركة بل وأخبر النبي ﷺ عن احداثها ، وقد تجلى الصبر والثبات والتضحية في كل واحد من الامراء الثلاثة وسائر الجند مبعثها الحرص على تنفيذ أمر رسول الله ﷺ وثواب المجاهدين والرغبة في نيل الشهادة والنصر .

الخاتمة

تعد معركة مؤتة من بين أهم المعارك التي وقعت بين المسلمين والروم وعرب الشام المواليين لهم ، لانها اول صدام مسلح بين الفريقين وبداية لفتح بلاد الشام وتحريرها من الروم ، وهذه المعركة كانت بالغة الأثر لسمعة المسلمين لأنها ألقت العرب جميعهم في الدهشة والحيرة ، فقد كان الروم اكبر قوة في الارض فكان لقاء جيش المسلمين ، ثلاثة آلاف مقاتل مع ذلك الجيش الضخم مائت ي الف مقاتل ثم الرجوع من غير ان تلحق به خسارة تذكر محققاً الغاية والاهداف التي من أجلها بعثت السرية ، لقد كانت المقاييس المادية لا تشجع على خوض معركة ومع ذلك خاض الجيش المعركة ووصل الى عقر دار العدو بمقاييس ايمانية هي أعلى مراحل الطاعة والضببط واتباع توجيهات الرسول ﷺ ، كان كل ذلك نصر عظيم للمسلمين لم تألفه العرب لانهم مؤيدون ومنصرون من عند الله ، معركة مؤتة اعطت مزيداً من الروح المعنوية للمسلمين ، فقد أهترت هيبة الروم في قلوب المسلمين والعرب ، ولقد افاد المسلمون من المعركة بدروس وعبر ، وبرزت تطبيقات عسكرية عالية الدقة في التعبية من خلال الخطة التي وضعها القائد خالد بن الوليد في المخادعة والحرب النفسية لسحب الجيش من دون خسائر بقتال تراجعى حرم العدو من ملاحقة جيش المسلمين ومطاردته، على الامة أن تربي أبناءها على حب دينهم واعتزازهم به والشعور بالنصر والفخر ، وان تعاود النظر في عرض القدوات للاجيال ، فلا بد من نشر سير أولئك الافاذ من صحابة رسول الله ﷺ واتباعهم ليرسم الأبناء سير الأجداد منهجاً للحياة ودستوراً للواقع .

الهوامش والمصادر

- (1) عبد الرحمن أحمد سالم ، المسلمون والروم في عصر النبوة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1997، ص87.
- (2) علي محمد محمد الصلابي ، السيرة النبوية ، الجزء الثاني ، دار ابن كثير ، دمشق ، 2004 ، ص 459.
- (3) محمد عبد القادر أبو فارس ، الصراع مع الصليبيين ، دار البشير - طنطا ، 1999 ، ص20 .
- (4) عبد الرحمن أحمد سالم ، المسلمون والروم في عصر النبوة ، مصدر سابق ، ص89.
- (5) محمد عبد القادر ابو فارس ، مصدر سابق ، ص20 .
- (6) علي محمد محمد الصلابي ، مصدر سابق عن كتاب المغازي للبخاري باب غزوة مؤتة من ارض الشام (4261) .
- (7) علي بن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية في سيرة الامين المأمون ، دار المعرفة ، بيروت ، ج2، ص787.
- (8) المغازي النبوية للزهري ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر - دمشق ، ج2، ص757.
- (9) السيرة النبوية ، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام ، دار الفكر ، ج4، ص21.
- (10) شرح المواهب اللدنية للقسطلاني، لمحمد بن عبد الباقي ، الزرقاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ج2، ص271.
- (11) ابي عبدالله محمد بن ابي بكر الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد تحقيق ، شعيب الأرنؤوط وعبد القادر ، ط 1 ، 1399 هـ ، دار الرسالة ، ص 283.
- (12) علي محمد الصلابي ، مصدر سابق ، ص463 عن تاريخ دمشق لأبن عساكر ص 396 .
- (13) د. اكرم العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة ، ط1، 1412 ، ص 468.
- (14) علي محمد محمد الصلابي ، مصدر سابق ، ص 463 عن الطبرائي في الكبير وأبن هشام ج 4 ، ص 19.
- (15) كتاب المغازي للبخاري ، باب غزوة مؤتة من ارض الشام رقم الحديث (4012) .
- (16) المننقي ، الهندي ، كنز العمال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1989 ، ص663 .
- (17) السيرة النبوية لأبن هشام ، مصدر سابق ، (2704)

- (18) احمد بن علي المقرئزي ، امتاع الاسماع ، تصحيح وشرح محمود محمد شاکر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة 1941 ، ص ص 348 ، 349 .
- (19) محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة ، بغداد ، ط 2 .
- (20) دياسين سويدان ، معارك خالد بن الوليد ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، 1989 ، ص 173 .
- (21) صالح بن حميد وآخرون ، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، دار الوسيلة ، طبعة اولى ، 1418 هـ ، ص 360 .
- (22) ابو الفداء ابن كثير الدمشقي ، دار الريان للتراث ، طبعة اولى ، 1988 م ، ص 255 .
- (23) محمود شيت خطاب ، مصدر سابق ، ص 206 .
- (24) ابو بكر احمد البهقي ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، تحقيق عبد المعطي قلجى ، دار الكتب العلمية بيروت ، طبعة اولى ، 1405 هـ ، بيروت ، ص 373 .
- (25) المصدر نفسه ، ص 274 ، كذلك السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ص 328 .
- (26) عباس محمود العقاد ، عبقرية خالد بن الوليد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1977 ، ص 50 .
- (27) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ، مصدر سابق ، ص 328 .
- (28) سورة البقرة : الاية 249 .
- (29) د.ياسين سويدان ، معارك خالد بن الوليد ، مصدر سابق ، ص 75 .
- (30) عباس محمود العقاد ، عبقرية خالد بن الوليد ، مصدر سابق ، ص 50 .
- (31) أبو الفداء ابن كثير المشقي ، البداية والنهاية ، مصدر سابق (4/259) .